



"البعد الثقافي لخلفية التأريخ في تحديد مسار الترجمة"

"Cultural dimension of history background in determining the pathway of translation"

حليمة بن عزوز*، جامعة تلمسان، Benazo113@gmail.com

تاريخ المقال

الإرسال: 2021-10-29 القبول: 2021-12-26 النشر: 2022-05-15

الكلمات المفتاحية:

- الترجمة
 - تاريخ الترجمة
 - البعد الثقافي
 - مراحل الترجمة
- إنّ الوقوف أمام ما نتعذر ترجمته ليس مجرد مواجهة لصعوبات لغوية قد تشمل ضعف المترجم وعدم تمكنه من الترجمة، فليس المترجم هو من يقف عاجزا أمام الترجمة وإنما هي اللغة ذاتها من تقف عاجزة أمام اللغة الأخرى بل و إنها الثقافة ذاتها هي التي تقف عاجزة أمام الثقافة الأخرى وعلى هذا النحو، فليس الأمر عاجزا وإنما هو إدراك لـ: "آخريّة" الآخر. سيدرس هذا المقال البعد الثقافي لخلفية التأريخ في تحديد مسار أهمّ مراحل الترجمة.

مَلَجَّاتُ الْبَحْثِ

Abstract

Standing towards what translation is unable to cover is not just facing such linguistic difficulties which may include the disability of the translator to engage with; it's not the translator who stands unable in front of translation but it is the language itself which stands unable besides the other language, it's the culture itself which stands unable besides the other culture. In this sense, the matter is not a disability but rather a consciousness of the other.

This article will study the cultural dimension of history background in determining the pathway of the most important translation phases.

Keywords

Translation-
history of translation -
cultural dimension -
phases of translation

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إنَّ الترجمة ضرورة حضارية ونشاط فكري وعملية لغوية فرضها الاحتكاك بين الشعوب ذات الألسنة المتباينة فبالترجمة يتسع أفق معرفتنا ويذاب التباين بين اللغات والثقافات لذلك ارتبطت بتقدم الأمم عبر العصور (كحيل، 2009، صفحة 03) وبمعنى آخر، إنَّ الترجمة هي ما يفتح الثقافة أو بالأحرى ما يفتح النصوص على الخارج وما ينقلها وما يحولها وبفضل هذا التحويل فإنَّ كثيرا من المؤلفات تكتسب أهمية يعجب لها الأدب وتقهر الترجمة كلَّ الصعوبات وتمحو كل المسافات وتلغي جميع الاختلافات (العالي، 2006، صفحة 97) ويعود فضل فتح آفاق المعرفة للترجمة عبر الحقب الزمنية التاريخية القديمة حتى أنَّ استكمال تأسيس الحضارة العربية الإسلامية كان مبنيا على دعامة الأخذ عن التراث الإنساني للأمم المجاورة التي احتكوا بها مثل الفرس والرومان واليونان والهنود ليتجسد التراث العلمي فيما نقلوه إلى العربية عن طريق الترجمة والحال نفسه لما احتك الفرنجة بالعرب أثناء الحروب الصليبية في المشرق العربي والأندلس أين بدأت الترجمة العكسية من العربية إلى اللاتينية ليبدأ عصر النهضة العلمية في الغرب: مبادئ علوم مبنية على الترجمة الدقيقة التي كان للعرب فضل ابتكارها عبر التاريخ.

2. أهمية التأريخ للترجمة عبر التاريخ:

إنَّ الترجمة في مسارها التاريخي تؤدي إلى رؤية التفاعل بين الثقافات والانتقال بين اللغات وذلك بأن تقترب منها وتتواصل معها لتصبح أداة لتمكين الثقافة من أن تمتحن نفسها على ضوء الآخر. فالترجمة إلى اللغة العربية ظاهرة واكبت قوة الدولة العربية الإسلامية فبيت الحكمة ودار الحكمة ومدرسة طليطلة في الأندلس ومدرسة الألسن وحركة الترجمة في مصر في الستينيات خير أمثلة تبرهن على أنَّ حركة الترجمة نتاج حالة من حالات الدولة فلو أنفق المأمون كلَّ ما يملك في دولته لما أنشأ بيت الحكمة لولا وجود المترجمين المقتدرين في تلك الدولة إبان تلك الفترة الزمنية فهؤلاء المترجمون لم يتخرجوا من بيت الحكمة إنما هم الذين أنشؤوه كانوا موجودين من ذي قبل واحتضنهم بيت الحكمة وأضفى على عملهم سمة الأكاديمية ودار الحكمة القاهرية التي أنشأها الفاطميون في مصر في عهد المعتز بالله كانت هي الأخرى مثالا يحتذى به لقوة الدولة وعظمتها التي احتضنت المترجمين والعلماء والمؤلفين ولا نغفل عن مدرسة الألسن التي احتضنت المترجمين في مصر والعالم الإسلامي وأخرجت الكتب المترجمة إلى العربية دون أي دخل للدولة في إعداد وتأطير هؤلاء المترجمين، وها هنا يمكننا أن نقرباً أنَّ قوة الدولة ونبوغ الفرد والاستقرار السياسي والاقتصادي والتماسك

مدى اهتمام العرب وحرصهم الشديد على الترجمة منذ العصور الغابرة كيف لا وقد شهد العالم التأريخ لحركة الترجمة العربية منذ القرون الإسلامية الأولى واقفا وقفة تمحيصية على أهم ما نقله العرب والمسلمون عن غيرهم من حضارات الأمم المجاورة لهم سواء من اليونان والرومان أو الفرس أو الهند مجتهدون في إضافة معارفهم إلى شتى المجالات من فنون وعلوم إنسانية ودراسات تطبيقية.

كما شهد العالم أيضا على مرّ العصور التأريخ لحركة الترجمة عند الأوروبيين وما نقلوه عن العرب والمسلمين من كتب إلى لغاتهم بعد الحرص على جمعها ونقلها من البلاد العربية الإسلامية إلى بلادهم بعدما أفادوا منها حق استفادة واستحوذوا على دراستها ممّا وصل إليهم منها في كافة المعارف الإنسانية وعلى وجه الخصوص كتب العلماء اليونانيين وغيرهم التي كانت قد ضيعت أصولها ولم تبق منها إلا الترجمات العربية. ولعلّ هذا ما يبين وبحقّ مدى إسهام العرب والمسلمين في بناء دعامة الحضارة الإنسانية من خلال ما تجلّى من دراسات الغربيين عن الحضارة العربية وفيما يحققون ويترجمون من كتب كانت في الأصل قد دونت باللغة العربية. وقد كانت الترجمة في بادئ الأمر عبارة عن إيحاء بالإشارات قبل أن توجد القراءة والكتابة، أو باستحضار مفرد الشيء أو مصغره ومن ثمّ تصويره للمخاطب (العيس، 1999، صفحة 08) وقد تكون أولى الإشارات التي تدلّ

الاجتماعي والتشبيث بالقيم الأخلاقية والعقائد الدينية وتقديس العلم وتمجيد الفكر هي العوامل التي أوجدت المترجمين الأكفاء في زمن مضى ممّا ينذر تكراره إلا إذا قويت الدولة العربية من جديد وعاد بها التأريخ مرة أخرى إلى تلك الحالة الحضارية التي كانت عليها. إنّ الترجمة في العالم العربي قامت على أكتاف أفراد لم ينتموا إلى أكاديميات معينة - وصحيح أن احتضنتهم أكاديميات فيما بعد- لكن يشهد التأريخ على امتداده أن بقي هؤلاء الأشخاص متميزين كلّ منهم يمثل مدرسة بذاته ولكي تنتعش حركة الترجمة من جديد لا بدّ أن يعود ذلك النمط من المترجمين إلى حياتنا.

3. تاريخ الترجمة من وإلى اللغة العربية:

إنّ أغنى عصور الفكر الثقافي هي تلك العصور التي تزدهر فيها الترجمة وتتوسع وعلى حدّ رأي علي القاسمي "إنّ اللغة العالمية ليست تلك اللغة التي يتكلمها أكبر عدد من الناس بل هي تلك اللغة التي تترجم إليها أكبر عدد من الأعمال من مختلف اللغات" (القاسمي، 2009، صفحة 14)

وقد لا يختلف اثنان أنّ "العرب عرفوا الترجمة قبل الغرب بقرون عديدة فلا يمكننا أن نغفل ترجمة ابن سينا لكتاب "فنّ الشعر" لأرسطو أو كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع الذي يمثل بصدق أقوى حلقات الربط بالترجمة بين الفرس والغرب كما لا نغفل عن كتاب "الفهرست" لابن النديم وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على

على تواجد الترجمة هي الرسائل التي أرسلها أمراء الشام إلى أختاتون يطلبون فيها المال أو المعونة وتتوالى الإشارات بعد ذلك في المعاهدة التي عقدت بين رمسيس الثاني "فرعون مصر" وملك الحيثيين حيث كان بيد كل ملك منهم صورة للمعاهدة بلغته ويعتبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعرب الأول (أحمد، 2011، صفحة 11) إذ أمر بتعريب الدواوين نقلا عن الفرس فأسس ديوان الجند لتسجيل أسماء الجنود ورواتهم وديوان الرسائل أو البريد.

وفي التاريخ، نلمح وجود فترتين تاريخيتين مهمتين: الحقبة الأولى تمت فيها الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية والحقبة الثانية أين تمت فيها الترجمة العكسية أي من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية.

بعد أن هدأت فورة الفتوحات الإسلامية ونتيجة الانفتاح العظيم الذي شهدته الدول العربية والتفاعل الحضاري الحاصل (الدين، 2020، صفحة 02)، باشر العلماء العرب العمل على إتمام تأسيس حضارتهم، فكانت حركة الترجمة والنقل إلى العربية الأولى في العصر الأموي خاصة في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، حيث بدأ تدوين القرآن الكريم في المصاحف، وتوزع المسلمون في الأمصار إثر الفتوحات قد قلل اعتماد الناس على الذاكرة، وزاد اعتمادهم على الكلمة المكتوبة لاسيما بعد احتكاكهم بالأمم الأخرى الأمر الذي دعا الخلفاء الأمويين أن يأمرُوا بالتدوين والنقل والتأليف (طباطبا، 1954)

وبمعنى آخر، عندما هدأت فورة الفتوحات الإسلامية العربية وبدأ العرب يستكملون تأسيس حضارتهم، كان لابد لهم من الأخذ عن التراث الإنساني للأمم التي احتكوا بها مثل الفرس والرومان واليونان والهنود. وكان لب ما ترجموه هو التراث العلمي فنقلوا إلى العربية علوم اليونان مثل كتب اقليدس و بطليموس في الهندسة والفلك وكتب أبقراط في الطب وكتب أرسطو وأفلاطون في الفلسفة وعن الهنود نقلوا كتب أدرشانا في السموم وعن الرومان نقلوا كتب جالينوس في الطب (أحمد، 2011، صفحة 11)

وكانت ذروة الترجمة في عصر الخليفة المأمون ابن هارون الرشيد الذي أنشأ بيت الحكمة وجمع فيها كل ما أمكن الحصول عليه من كتب اليونان والسرّيان والهنود والفرس والرومان وكان نجم الترجمة في هذه الفترة هو "حنين بن اسحاق" والذي كان يتقاضى وزن ما يترجمه ذهباً وفي القرن السابع للهجرة والثالث عشر للميلاد ونتيجة لاحتكاك الفرنجة بالعرب أثناء الحروب الصليبية في المشرق العربي وكذلك في الأندلس وصقلية، بدأت الترجمة العكسية من العربية إلى اللاتينية واللغات القومية الأوروبية فترجمت مؤلفات ابن سينا وابن النفيس والزهراري وابن البيطار وابن الهيثم وابن رشد وغيرهم لتبدأ النهضة العلمية في الغرب ويؤكد روجر بيكون وفرانسيس بيكون وكلود برنار مبادئ العلوم

المبنية على الترجمة الدقيقة التي كان للعرب فضل ابتكارها (أحمد، 2011، صفحة 12)

4. الترجمة إبان العهد الأموي:

انصبّ الاهتمام في أوّل العهد الأموي على جمع المصنّفات في خزائن إذ توفّر مؤلفون ومعرّبون ونقله كثر إلّا أنّ جهدهم الأكبر اتّجه إلى الحديث النبوي الشريف (الدين، 2020، صفحة 02) بشكل خاص مخافة اختلاطه بالقرآن الكريم، ونتيجة الحاجة إليه باعتباره المفسّر الأوّل والمصدر الثاني للتشريع الإسلامي، فكانوا يكتبون على القراطيس المصنوعة بمصر ليتمّ بعدها اختراع الورق الذي كان المساعد الأوّل في نشر المعرفة وغزارة المؤلفات وإبراز الحاجة إلى الترجمة والتعريب (بحر، 1968، صفحة 33)

ثم إنّ أوّل رائد لهذه الحركة (الترجمة) وأشهر من اهتمّ بها في مطلع الدّولة العربية خالد بن يزيد بن معاوية (ت58هـ) والذي قالت عنه المسترشقة "زيغريد هونكه": "أوّل خليفة في سلسلة عظيمة من دعاة الحركة العلمية بدعوة المتعلّمين من الإغريق والعرب الإسكندرية، وعهد إليهم بترجمة بعض المؤلفات اليونانية والقبطية إلى اللّغة العربية مصرّاً بذلك أن يتعامل مع الثقافات المختلفة بلغته هو" (هونكه، 1980، صفحة 120)

ويعدّ هذا القول إقراراً واعترافاً (الدين، 2020، صفحة 03) بالجهد المبذول في سبيل التطوّر والرقى الذي حظيت به الدّولة العربية الإسلامية

الأولى وهو الذي قال عنه(خالد بن يزيد بن معاوية) أيضاً صاحب الفهرست: "أوّل من ترجم كتب الطبّ والنجوم وكتب الكيمياء" (الوراق، صفحة 76) أما "ابن صاعد (ت438هـ)" فذكر لنا مجال براعة خالد بقوله: "كان بصيراً بعلمي الطبّ والكيمياء، وأنّ له في الكيمياء رسائل وأشعاراً بارعة تدلّ على معرفة وبراعة" (أحمد أ.، 1985، صفحة 331) وكلّ هذا ما هو إلّا إقرار وإشادة بموسوعية الرّائد الأوّل لهذه الحركة التي انبثقت عنها حضارة دامت لقرون عدّة واستندت عليها ثقافات أخرى لإقامة نفسها.

ومن أبرز المهتمّين بالترجمة أيضاً في هذا العصر الخليفة مروان بن الحكم (ت65هـ) إذ ترجم له الطبيب البصري "ماسروجيه" كتاب أهون لقس من السريانية إلى العربية، إضافة إلى ترجمته للخليفة عمر بن عبد العزيز (ت101هـ) كتاب "قوى الأطعمة منافعها ومضارها وكذلك قوى العقاقير منافعها ومضارها" (قصي، 1944، صفحة 90) وبذلك كانت لهذه الأعمال الدّور الأهم في تشكيل الحياة العلمية وتوسيع الأفق الثقافي والحضاري لذا فلم تنتظر طويلاً حتّى كان للعرب ترجمات لمختلف الكتب وخاصة التراث العلمي نحو: الكتب الفلسفية لأرسطو وأفلاطون والطبيّة، ومجموعة من كتب حكماء اليونان وكتاب الهند وغيرهم كثر.

5. الترجمة إبان الفترة العبّاسية:

بظهور الدّولة العبّاسية (132هـ) وبعد انتقال الخلافة إلى بغداد من دمشق، كانت البذور الأولى

كان نجم الترجمة والمتصدّر الأوّل في تلك الفترة هو حنين بن إسحاق الذي كان يتقاضى وزن ما يترجمه ذهباً (أحمد ع.، 2011، صفحة 11).

فكان هذا البيت بمنزلة الجامعة اليوم نظراً للانتاجات الغزيرة التي احتضنها ولعلّ خير دليل على ذلك هو شهادة غير العرب من الأعاجم واعترافاتهم بفضل هذه الأعمال فقد قال عنه "ديورانت" في قصّة الحضارة: "كان مجمعا علميا ومرصدا فلكيا ومكتبة عامّة، أقام فيه طائفة من المترجمين أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال، كما نقل قول (ابن خلدون) بأنّ الإسلام مدين إلى هذا البيت باليقظة الكبرى التي احتشدت بها أرجاؤه" (السامرائي، 1984، صفحة 417)

فقد كان أهمّ مركز ثقافي والمساهم الأوّل في بلوغ العرب أرقى المراتب وخير دليل على ذلك ما دخل إلى المكتبة العربية آنذاك من مؤلّفات شملت جلّ العلوم المختلفة انتفع بها ومازال ينتفع بها العالم أجمع.

6. نشأة الترجمة العكسية من العربية إلى اللّغات اللاتينية:

كانت بؤادر هذه الحركة الأولى في القرن السابع للهجرة والثالث عشر للميلاد إثر احتكاك الفرنجة بالعرب نتيجة الحروب الصليبية في المشرق العربي والأندلس وصقلية. فشهدت هذه الفترة الترجمة من اللّغة العربية إلى اللاتينية واللّغات القومية الأوروبية أين اتّجهوا إلى نقل التراث العلمي بالدرجة الأولى نحو مؤلّفات ابن سينا،

للترجمة قد استهلّت طريقها بالظهور والإيناع وبدأ النضج خلال هذا العصر الذي كوّن بالعصر الذهبي (الدين، 2020، صفحة 04)، فأهل بني العبّاس عملوا على تشجيع الكتّاب والعاملين في هذا المجال وقربوهم إليهم والمطلّع على هذا العصر يجده ينقسم إلى عهدين:

- العهد الأوّل: وذلك بقيام الدّولة العبّاسية حتّى الخليفة المأمون (132هـ-198هـ) نهل من خلاله المترجمون الكثير من الكتب نتيجة للمكانة التي كانوا يتمتعون بها عند خلفاء بني العبّاس وما يميّز هذا العهد الاستقلالية إذ أنّ كلّ مترجم كان مستقلاً بنفسه

- العهد الثاني: يمكن الحديث عنه بقيام دولة الخليفة المأمون ومن أعقبوه على كرسي الخلافة من العبّاسيين، فبرز فيها جماعة من المستغلين لم يكن همّهم أن يعملوا كوسطاء فقط وإنّما كمفكرين بحيث يتيحون الفرصة لطلاب العلم من العرب أن يقفوا على أسرار العلم والحكمة (رشيد، 1986، صفحة 279).

وقد دفع هذا التوسّع العلمي كبير الخلفاء إلى التفكير بإنشاء مكان لاحتضان هذا النتاج الفكري فصبغوا تلك الأعمال كما نعرفها اليوم بصبغة أكاديمية من خلال إنشاء بيت الحكمة الذي توفّر على كلّ مستلزماتهم وضمّ أعظم النقلة والعلماء والمفكرين، كما أصبح النقل عملاً تتولّاه الدّولة وتنفق عليه من خزينتها، كما أرسل المأمون في طلب الكتب من مختلف الأقطار، وقد

والزّهرائي، وابن البيطار، وابن الهيثم، وابن رشد، وكثير من المؤلّفات الأخرى لتكون نواة النهضة العلمية الغربية وقد أكّد كلّ من "فرانسييس بيكون وكلود بيرنارد" المبادئ العلمية الدقيقة التي كان للعرب الفضل في ابتكارها وإخراجها للعالم (أحمد ع.، 2011، صفحة 12)

7. الترجمة خلال حملة نابليون بونابرت على مصر:

نشأت هذه الحركة في عهد الحملة الفرنسية الشهيرة على مصر، إذ واجه خلالها "نابوليون بونابرت" الكثير من الصعاب، وكانت اللّغة أوّلها وأبرزها، فسعى في أوّل الأمر بعد انهزام المماليك وفرارهم إلى تأسيس حكومة جديدة، لكن واجهته مشقّة عدم الدّراية بلغة الشعوب العربية وثقافتهم، فكان لزاما عليه الاستعانة بمن يحسن ترجمة أوامره ومنشوراته إلى اللّغة العربية لتيسير عمليّة التواصل مع أعضاء المجتمع المصري كافّة، فكانت هذه الحاجة الدّافع الأوّل والسبب الرّئيس لنشاط عملية الترجمة ورواجها في مصر نظرا للتباين اللّغوي الكبير الذي كان بين البلدين فدعاه ذلك لإحضار مجموعة مترجمين غرباء عن مصر معه، وكان أبرزهم أسرى بخّارة مسلمين كانوا تحت قيادة القديس يوحنا بجزيرة مالطة على حسب ما جاء في كتاب تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد على لجمال الدين الشّيال فقد كانت لهؤلاء القدرة على فهم عديد اللّغات نظرا لركوبهم الدائم للبحر واحتكاكهم بمختلف الشعوب، فكان أوّ عمل لهم

هو ترجمة منشور قائد الحملة (نابليون) وإعداده قبل نزوله إلى مصر (العيس، 1999، صفحة 18) لتتواصل بعدها الأعمال إذ لم يلبث بعدها طويلا حتّى قام باحتضان هؤلاء المترجمين من علماء مستشرقين وبعض السوريين لتأسيس مجمع علمي مصري أو كما سمّي بمدرسة العلماء في برّ مصر فقد ضمّ هذا المجمع عدّة تخصصات في: الرياضيات، الهندسة، الفلك، الطب و الجغرافيا... مع لجنة خاصة بالترجمة كان أبرز أعلامها كلّ من "فاتور، ماجيلان،... وغيرهم" وما شجّع هذه الحركة أكثر فأكثر هو توفير الطّباعة والنشر بذلك المجمع فكان به أيضا جماعة من خبراء الطّباعة آنذاك (العيس، 1999، صفحة 31)

كلّ هذا كان سببا في نشوء حركة الترجمة في هذه الحقبة الزمنية ثمّ إنّ أهل هذا المجال يقسمونها إلى فترتين الأولى: وهي النشأة أي قبل عهد محمّد علي أمّا الثانية فكانت في عهده ففي الفترة الأولى ورغم غزارة النقل إلّا أنّها لم تكن على القدر الكبير من الاتّساع والشمولية كما كانت في عهد ولاية محمّد علي

8. الترجمة خلال عهد محمّد علي:

بعد أن جلا الفرنسيون عن مصر واستقرّ محمّد علي فيها ضابطا وبعد إيمان الشعب به وبعдалته وتسليمه السلطة ومن خلال نظرتة الثاقبة وانطلاقا من ملاحظته للأوضاع السائدة باشر تنفيذ سياسته الإصلاحية والتي تكلّلت في نهايتها

بإنشاء أول مدرسة حربية لتعليم أولاد المماليك، وقد كانت اللغة الإيطالية هي الأولى التي تدرّس في تلك المدرسة، ليتواصل بعدها النشاط بإرسال بعثات إلى مختلف الدّول الأوروبيّة للتمكّن من ترجمة الكتب الأجنبية التي كانوا بحاجة إليها (العيس، 1999، صفحة 76)

ولم يتوان في إلحاق بعثات من شيوخ الأزهر أيضا لضمان الحصول على ترجمات أسلم تعبيرا وأمتن لغة وذلك قصد مساعدتهم في وضع المصطلحات المناسبة.

وإنّ أبرز ما ميّز هذه المرحلة هو الابتعاد عمّا يسمّى بالتخصّص في الترجمة مثلا: الطبيب يترجم التاريخ إضافة إلى عدم الاقتصار بالأخذ عن مؤلّف واحد للنقل منه بل عدّة كتب ومن ثمّ لم يكونوا مجرد وسطاء همّهم نقل المعلومات وإنّما كانوا مفكّرين ومحقّقين وفي آن واحد ومن هنا كانت الركيزة التي انطلق منها محمّد علي لتشييد المدارس الواحدة تلو الأخرى، فباشّر بتأسيس مدرسة الطب البشري بعد تكوينه الجيش الجديد عام 1815م وضمت فيما بعد الصيدلة عام 1830م/ مدرسة الولادة 1831م/ الطب البيطري 1832م لينتقل بعدها إلى المدارس الفنيّة التي كانت أولى مدارسها المدرسة الزراعية عام 1835م والهندسية 1849م، إضافة إلى المجال الصناعي الذي ضمّ عدّة مدارس من بينها مدرسة الكيمياء وأخرى للمعادن ومدرسة للعمليات والفنون والصناعات،

وزيد إلهم بعدما المدارس الحربية والبحرية (العيس، 1999، الصفحات 36-37)

تواصل بعدها هذا النشاط الكبير بنفس الوتيرة إلى أن أسّس مدرسة الألسن في أوّل عام 1255هـ والتي أنشأت باسم الترجمة ثمّ تغيّر اسمها فيما بعد فأصبحت مدرسة الألسن والمعروفة ببيت الدفتر دار (العيس، 1999، صفحة 41) وقد كان عدد تلاميذها حوالي 80 تلميذا ليزداد إلى نحو 150 تلميذا ومدّة الدّراسة فيها خمس سنوات ثمّ زيدت إلى ست سنوات، كما كان التدريس فيها بالعديد من اللّغات (العربية، التركية، الفرنسية) مع الحساب والجغرافيا والتاريخ، إلى أن اكتمل نضج هذه المدرسة عام 1839م وبات فيها خمس فرق وألحقت فيها تعليم اللغة الإنجليزية وكان كلّ هذا تحت إشراف المدير وصاحب الفكرة والعالم الكبير "رفاعة رافع" الذي له عديد الأعمال في الترجمة وكان المشرف الأوّل على المدرسة (العيس، 1999، صفحة 41)

ثمّ إنّ القارئ لكتاب تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمّد علي لجمال الدين الشيال يلاحظ أنّ ما ترجم في هذه الفترة كان حوالي 1913 كتابا. فقد اعتمدوا على ترجمة كتب العلوم الحديثة لذلك كثّفوا البعثات وعزّزوها لرفع شأن البلاد، لأنّهم رأوا بأنفسهم كيف امتلكت أوروبا القوّة الماديّة، و الاقتصاديّة، وغدت تسيطر على مختلف الشعوب بحجّة تدريسهم، وتطويرهم بعد الظلام

الكبير التي كانت تشهده وأنه متى تحقق لأمة العلم تحققت لها القوة.

بعدها توالى النهضة في مختلف الدول العربية التي كانت تحت وطأة الاستعمار فشملت بلاد الشام (سوريا) ولبنان، والجزائر، والعراق الذين كانوا يعانون في شتى مجالات الحياة ليس فقط المجال العلمي لكن بفضل الرجال الأحرار والعلماء الغيورين على اللغة والدين ظلّ الشعب صامدا متمسكا بهويته (اللغة العربية، والدين الإسلامي) لينفك عن الاستعمار الغاشم وينطلق في التعليم باللغة العربية مغتنما الفرصة في نفس الوقت لتعريب المؤلفات الهامة ونقلها إلى لغتها الأصل (العيس، 1999، الصفحات 44-47)

فكما قال الناقد والمترجم سعد البازعي قوة الأمة تقاس بمقدار ما يترجم عنها لا بمقدار ما يترجم إليها، لذلك يجب على المترجمين في عالمنا العربي تكثيف الجهود والافتداء بما قام به السابقون من تكييف الطرق مع متطلبات العصر لتذليل الإشكالات التي تعترضهم خلال عملية الترجمة، والإبقاء على الاتصال الحضري بالمجتمعات الأخرى لتنمية روح المنافسة ونفع الأمة العربية خاصة والأجنبية عامة.

9. نظرة العرب إلى الترجمة:

لم يفرغ العرب القدامى والمعربون القدماء على كثرة ما نقلوا إلى العربية للتنظير في مضمار الترجمة بل إنهم انصرفوا للعمل فيها ولمع بعضهم في مزاولتها والمعروف أنّ أول عربي سطع نجمه في

مقتضيات الترجمة هو الجاحظ وإن لم يكن مترجما فقد رآها من منظار القارئ الذي يهيمه أن تكون النصوص بائدة المعنى محكمة المبني لذا جعل عماد الترجمة البيان والمعرفة وإن ما أنتجه المترجمون أو بالأحرى القيمون على الترجمة كان عبارة عن معاجم مزدوجة اللغة أو كتب في النحو المقارن مثلما فعل حنين بن إسحاق فيما يخص العربية واليونانية وبذلك انصبّ الاهتمام على الترجمة المصطلحية والتقابل النحوي كمشاكل اصطدم بها المترجمون لغورهم حسب ما وصل إلينا من مخطوطات وعلى أساس كلام الجاحظ عن الترجمة الذي جمع وأوجز حددت طريقتان في الترجمة تكرر ذكرهما كثيرا إحداها حرفية والثانية متصرفة على أساس الجملة ثم إنهم سكتوا كلية عن هذا الكلام المباح طيلة عصور الانحطاط وجاء عصر النهضة فتحركت في الهمم ابتداء من أواسط القرن 19 إذ أسست مدرسة الألسن في مصر في عهد محمد علي وأنشأت مدرسة الترجمة في طنجة بالمغرب لتخريج المهندسين التي أشرف على نشاطها علماء من الخارج وبالنسبة للعصر الحديث فقد صدر حتى الآن في العربية في غضون القرن 20 ولا سيما في النصف الثاني منه حوالي 240 كتابا عن الترجمة بعضها مترجم عن الإنجليزية أساسا وعن الفرنسية والروسية وبعض آخر مؤلف أو عبارة عن أطروحات منشورة أو غير منشورة (مخير، 2012، صفحة 27)

واستمرت مشكلة نقل المفهوم المصطلحي واختلف في أي السبيلين أقوم وأصلح الترجمة أي النسج على المنوال العربي أم التعريب أي إضفاء الشكل العربي على المصطلح الأعجمي واحتدم النقاش منذ عام 1908 وتشعبت المذاهب في ذلك ولو أنّ كفة الترجمة مالت ومنذئذ ظهرت جملة من الآراء معظمها في مقدمات الكتب المترجمة ولم تحد عن الثنائية المعهودة إذ دعا فريق إلى الترجمة الحرفية ونادى فريق آخر بترجمة المضمون أي التصرف وكان من الذين نشطوا في عملية الترجمة (يعقوب صروف 1852-1927) الذي صنّف المعاني حسب الحقيقة والمجاز وكان من أنصار التصرف المقيد أي بدقة وسعى ما وسعه الجهد إلى ترجمة المفردات المستجدة لكنه لم يتورّع عن التعريب لإغناء العربية وزيادة رصيدها لأنّ اللغة جسم حي نام وقد قصد بتلك العلوم بالدرجة الأولى ولم يفته ما يكابده المترجم من عناء في تنازع الترجمة والتأليف والإنشاد والتحرر: هذا لأنّ "الترجمة ليست بالأمر الهين بل هي صعبة وأصعب من التأليف لأنّ المؤلف طليق بين معانيه والمترجم أسير معاني غيره مقيد بها مضطر إلى إيرادها كما هي وعلى علائها إذا لزم الأمانة كما هو الواجب وإلاّ فليس مترجما بل هو مصنف" (الديداوي، 2007، صفحة 62) وقد تصدى للترجمة الأدبية كثير من الأدباء منهم "محمد عوض إبراهيم وعلي أدهم وأحمد زكي ونجيب الحداد وحافظ إبراهيم ومصطفى

لطفي المنفلوطي ومحمد بدران وإبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري لكنهم لزموا الصمت جريئاً أو كلياً ولم ينبؤوا عن نهجهم ولم يبينوا مذهبهم على عكس ما فعله خليل مطران (1871-1949) وأحمد حسن الزيات 1885-1968 أما الزيات الذي ترجم للامارتين ودي موبامان وألفونس دودي، فقد شرح في مقدمته لرواية "ضوء القمر" الطريقة التي اتبعها والتي كانت توفيقاً بين الطريقتين اللتين ذكرهما الصفدي والعاملي استناداً إلى آراء الجاحظ أي التصرف والحرفية ولقد تنبه إلى أنّ الأوائل ركزوا على ترجمة العلوم والفلسفة ولم يترجموا الآداب فيما عدا ابن المقفع ونفر قليل ثم يقول "أنا أنقل النص الأجنبي إلى العربية نقلاً حرفياً على حسب نظمه في لغته ثم أعود فأجريه على الأسلوب العربي الأصيل فأقدم أو أأخر دون أن أنقص أو أزيد ثم أعود الثالثة فأفرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم والمجاز المطابق والنسق المنتظم وأنا على يقين بأنّ المؤلف لو كتب قصة أو قصيدة باللغة العربية لما كتبها على غير هذه الصورة لأنّ المؤلف ينقل مباشرة من ذات نفسه إلى ذات قلمه أمّا المترجم فإنّه ينقل من لغة تخالف لغته كلّ الاختلاف في تأليف الجملة ونظم الأسلوب وتصوير الطبيعة والبيئة" (الديداوي، 2007، صفحة 29)

أمّا عبد الوهاب عزام، فإنّه ترجم عن التركية والفارسية والأردية ونظراً إلى احتوائها على مفردات مقيسة على العربية فقد طرحت عليه

الترجمة مولدة للهوية مغذية للثقافة وبه تغدو أداة انفصال وتحديث.

إنّ "لا شيء أكثر خطورة من الترجمة" على حدّ تعبير جاك دريدا بل إنّ "جوهر الترجمة هو الانفتاح والحوار و اللاتمركز" على حدّ رأي أنطوان برمان ذلك لأنها تستدعي إقامة العلاقة بين الذات والآخر وإلا فقدت قيمة وجودها وبالتالي، تعدّ الترجمة تلك البوابة التي تعبر منها الذات إلى الآخر أو يخترق منها الآخر الذات. وعليه، فلا ينبغي أن نخوض في عراك مباشر مع اللغة الأجنبية، بل ينبغي أن نتوصل إلى ما لا يقبل فيها الترجمة إذ في هذا تكمن قيمة كلّ لغة ويتجلى طابعها الخاص (Berman, 1995, p. 97) حينما نتوصل إلى ما نتعذر ترجمته. آنئذ وأنئذ فحسب يدرك وعينا بالأمة الأجنبية واللغة الأجنبية ومعنى هذا كلّ أنّ الوقوف أمام ما نتعذر ترجمته ليس مجرد مواجهة لصعوبات لغوية قد تشمل ضعف المترجم وعدم تمكنه من الترجمة فليس المترجم هو الذي يقف عاجزا تجاه الترجمة وإنما هي اللغة ذاتها من تقف عاجزة أمام اللغة الأخرى بل وإنها الثقافة ذاتها من تقف عاجزة أمام الثقافة الأخرى. وعلى هذا النحو، فليس الأمر عجزا وإنما هو إدراك لـ "أخرية" الآخر (حليمة، 2016، صفحة 121) وفي نطاق التقريب ما بين اللغات، ليست الترجمة خلقا للقرباءة فحسب وإنما هي أيضا تكريس للغربة، إنها ليست وصلا فحسب وإنما هي انفصال وابتعاد إنها تقريب الذات من الآخر

إشكالية الاشتراك اللفظي ولزوم تخير المفردة الدقيقة الملائمة وقد ذكر بأنّ خير طريقة في الترجمة أن يقدّر المترجم أنّ المعاني التي يعالجها قد ألهمته هو ثم ينظر إلى طريقة التعبير التي اتخذها المترجم له وطبيعة التعبير في اللغة التي يترجم إليها فيتخذ الصورة التي اختارها المؤلف في حين أنّ السواد الأعظم من المترجمين في عصر النهضة اتفقوا على أن تجرى الترجمة على الأسلوب العربي الأصيل مع التقديم والتأخير والتجاوز عن الأصل بالبتر والحذف أو شيء من الزيادة (الديداوي، 2007، صفحة 30)

10. خاتمة:

تؤدي الترجمة إلى رؤية التفاعل بين الثقافات والانتقال بين اللغات كما أنها تؤدي إلى انفتاح ثقافة على أخرى وذلك بأن تقترب منها وتتواصل معها وبذلك لن ترمي الترجمة إلى أن تهضم لغتنا وثقافتنا وتبتلعها وتعربها بل إنها تهدف أيضا وربما أساسا إلى أن تمكّن ثقافتنا من أن تمتحن ذاتها على ضوء الآخر فيمكنها أن تعرب وتتفرنس وتتجلز وتتألم (العالى، 2006، صفحة 98) وبهذا تصبح الترجمة أداة لتمكين الثقافة من أن تمتحن ذاتها على ضوء الآخر ووسيلة لتعريض الذات لمحنة وامتحان تتلقى فيه دفعا عنيفا مما هو أجنبي، هذا الدفع هو الذي يجعل الذات تشعر بالغربة لا أمام الآخر بل أمام ذاتها وبهذا تغدو الترجمة انفصالا للثقافة عن نفسها وللغة عن ذاتها ولأنا عن نفسه وبهذا وحده تصبح

طباطبا، أ. أ. (1954). *الفخري في الآداب السلطانية والأمم الإسلامية*. القاهرة: مطبعة الموسوعات.

قصي، أ. (1944). *تجديد الدولة العربية زمن الأمويين*. بيروت: المؤسسة الجامعية.

كحيل، س. (2009). *تعليمية الترجمة دراسة تحليلية*. الأردن: عالم الكتاب الحديث.

مخيمر، م. أ. (2012). *الترجمة العامة. العين الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي*.

هونكة، ز. (1980). *شمس العرب تسطع على الغرب*. لبنان: دار الآفاق الجديدة.

Berman, A. (1995). *L'épreuve de l'Étrange*. Paris: Gallimard.

ولكنها أيضا فصل بينهما، فالمسافة بين الذات والآخر لا يمكن أن تلغى نهائيا إذ أنها لو ألغيت لما ظلّ هناك لا أنا ولا آخر (حليمة، 2016، صفحة 121)

قائمة المصادر والمراجع :

أحمد، أ. أ. (1985). *طبقات الأمم*. بيروت لبنان: دار الطليعة.

أحمد، ع. أ. (2011). *أصول الترجمة*. عمان الأردن: دار الإعصار للنشر والتوزيع.

الديداوي، م. (2007). *مفاهيم الترجمة المنظور المعرفي لنقل المعرفة*. الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.

الدين، ص. م. *إشكالات الترجمة من وإلى اللغة العربية*.

السامرائي، (1984). *تاريخ الطب العربي*. بغداد: دار الحرية للطباعة.

العالی، ع. أ. (2006). *في الترجمة*. الدار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر.

العيش، س. (1999). *الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

القاسمي، ع. (2009). *الترجمة وأدواتها دراسات في النظرية والتطبيق*. مكتبة لبنان ناشرون.

الوراق، أ. أ. *الفهرست*. بيروت: دار الكتب العلمية.

بحر، أ. أ. (1968). *الحيوان*. دمشق: مكتبة النوري.

بن عزوز حليمة. (2016). *مصادقية الترجمة بين الأنا والآخر*، مجلة دراسات أدبية (20)، 121.

رشيد، أ. (1986). *حركة الترجمة في المشرق الإسلامي*. بغداد: دار الخوية للطباعة.